الإعجاز العلمي
في القرآن الكريم

عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

تأليف
د. زاهر بن محمد بن سعيد الشهري

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٠

الإعجاز العلمي
في القرآن الكريم

ح دار طيبة الخضراء، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشهري، زاهر بن محمد بن سعيد الخشرمي.
الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة
زاهر بن محمد بن سعيد الخشرمي الشهري - مكة المكرمة، ١٤٤٠هـ
٦٢٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٨-٢٣-٨٢٥٩-٦٠٣-٩٧٨
١- القرآن - الإعجاز العلمي أ. العنوان
ديوي ٢٢٩,٧ ١٤٤٠/٢٨٣٤

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٢٨٣٤
ردمك: ٨-٢٣-٨٢٥٩-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

حقوق الطبع محفوظة

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | عدم التصرف به

dar.taibagreen123 dar.taiba
@dar_tg dar_tg

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه
yyy.01@hotmail.com | ٠١٢٥٥٦٢٩٨٦
٠٥٥٠٤٢٨٩٩٢ | ٠٥٠٣٥٦٨٧٧١

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ونفى عنه الشك والارتياب، وأودعه من العلوم العجب العجاب، وجعله هدىً للناس وبينات بأبلغ لسان وأوضح خطاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم المآب، أما بعد:

فإن الله ﷻ أيد نبيه محمداً ﷺ بالدلائل البينات، والآيات المعجزات، التي يَستدل بها صاحب الفطرة السوي على صدقه وصحة نبوته ﷺ، وكان أعظم هذه الدلائل والمعجزات القرآن الكريم، الذي لم يستطع أفصح الناس أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، أو أن يجدوا فيه تعارضاً أو اختلافاً.

وقد بذل المسلمون جهدهم في خدمة كتاب الله تعالى، في مجالات متعددة، ومسالك متنوعة، تأليفاً وتأصيلاً لعلومه، وتفسيراً وتوضيحاً لآياته، وكل يغرف من بحر علمه ودلائل بيناته، "فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل والفصل...، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وثناؤه، وبحر لا يدرك غوره، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه"[1].

وقد نال إعجاز القرآن الكريم حظه من البحث والدراسة والكتابة، فظهر الاهتمام به منذ القرن الثالث الهجري، وتنوعت المؤلفات في تقريره، وبيان ما اشتمل عليه القرآن من وجوه الإعجاز، فهو "معجزة مستمرة إلى يوم القيامة، فلا يمر عصر من الأعصار، إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، يدل على صحة دعواه"[2].

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ١/ ٣-٤.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٤/ ٣.

ومع تقدم العلوم المادية، وظهور المكتشفات العلمية، وطغيان موجة الإلحاد في فترة من الفترات، وتعالي الأصوات بدعوىٰ التناقض بين العلم والدين، ظهر الاهتمام بالقرآن الكريم من جانب بيان حثه علىٰ العلم وإعمار الحياة، ومن جانب بيان ما اشتمل عليه من إشارات علمية كونية.

ولم يقتصر إبراز هذه الجوانب علىٰ جهود فردية، بل أنشئت له جمعيات ومؤسسات تعنىٰ به في عدد من الدول الإسلامية والغربية، وكل ذلك تحت مسمىٰ (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم)، ورأوا فيه طريقاً للاستدلال به علىٰ قضايا الاعتقاد، وخاصة إثبات أن القرآن من عند الله تعالىٰ، وأن الرسول ﷺ مرسل من ربه.

ولذا كان تصحيح الاستدلال به علىٰ القضايا العقدية أمراً في غاية الأهمية؛ لبيان المنهج الحق، ولصيانة الآيات القرآنية من التحريف والتعطيل الذي وقع فيه أهل البدع، من أجل ذلك أحببت أن يكون موضوع بحثي للحصول علىٰ درجة الدكتوراه في العقيدة:

(الإعجاز العلمي في القرآن الكريم،

عرض وتقويم في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)

حدود البحث:

سيكون البحث – بإذن الله تعالىٰ – محدوداً بتتبع الآيات القرآنية التي لها صلة بالعقيدة، وذُكر أن فيها إعجازاً علمياً تجريبياً، وذلك من خلال النتاج المكتوب ممن لهم عناية بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

مصطلحات البحث:

الإعجاز: حقيقة الإعجاز: إثبات العجز، وأصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر؛ أي: مؤخَّره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة[1].

العلم التجريبي: هو العلم الذي يعتمد التجربة أساساً للمعرفة، أو هو القضايا التي يحتاج العقل في جزم الحكم بها إلىٰ واسطة تكرار المشاهدة[2].

---

(١) انظر: إتحاف السادة المتقين، الزبيدي ٢/ ٢٠٣، والتوقيف علىٰ مهمات التعاريف، المناوي ١/ ٢٣٦

(٢) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي ١/ ٣٨١ مادة (التجربة).

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: هو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل المتاحة في زمن نزول القرآن، مما يدل على صدق الرسول ﷺ فيما بلغ عن الله تعالى[١].

الآيات الكونية: هي المنسوبة إلى الكون نسبة وجود ومكان، وهي الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، كالسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات، فكل المخلوقات ذواتها، وصفاتها، وأحوالها من الآيات الكونية[٢].

أهل السنة والجماعة: هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه[٣].

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١) أن له ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، والذي هو المصدر الأول لتلقي العقيدة.

٢) أن أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم تناقش موضوعات هي من أكبر موضوعات العقيدة وأهمها؛ كتوحيد الله تعالى، وإثبات الوحي وصدق الرسالة، والإيمان بالغيب وغيرها.

٣) أن دراسة الآيات التي ذكر فيها الإعجاز العلمي، يكشف عن مدى صحة الاستدلال به على قضايا العقيدة عند الممارسين له والقائلين به.

٤) تصحيح مسار الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا العقيدة ليكون ذا منهج سليم.

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً، عبدالمجيد الزنداني، ومجلة الإعجاز العلمي، العدد الأول، صفر ١٤١٦هـ وسيأتي مناقشة هذا التعريف في المبحث الأول من الفصل الأول.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية، إعداد مجموعة من الباحثين ٢/ ٤٨٥، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر ٣/ ١٩٧٤، والإعجاز العلمي للآيات الكونية، د. مشكور العوادي ص٥، وعلاقة الظواهر الكونية بولادة الأنبياء وموتهم، د. محمد أبو رحيم ص٢٣٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٤٣٤، ومنهاج السنة، ابن تيمية ٢/ ١٦٣، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية ٣/ ٣٧٥، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، د. عثمان علي حسن ١/ ٣٧-٤٠.

الدراسات السابقة:

بعد التتبع والبحث للدراسات والبحوث والمؤلفات والرسائل العلمية التي تناولت موضوع البحث أو جزءاً منه بالدراسة فيمكن حصرها في قسمين:

القسم الأول: الدراسات التي تناولت الموضوع من جانب عقدي.

وهي دراستان:

١) منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية "دراسة نقدية"، للدكتور سعود بن عبدالعزيز العريفي، وهو بحث محكم نشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد (٤٣) ذو الحجة عام ١٤٢٨هـ ويقع البحث في ثمان وعشرون صفحة، وقسمه الدكتور إلى أربعة مباحث:

الأول: قواعد في منهج الاستدلال بالقرآن على النبوة.

الثاني: خلاصة موقف العلماء من التفسير العلمي للقرآن الكريم.

الثالث: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على الربوبية.

الرابع: منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة.

والبحث مختصر جداً، والموضوع واسع، وقد اجتهد الدكتور في تحديد معالم المنهج الصحيح في الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية، ونقد الطريقة السائدة التي عالجت هذه المسألة، ولهذا أوصى الدكتور سعود بضرورة القيام بدراسات متخصصة في نقد نتاج الإعجاز العلمي، وهذا ما سيكشف عنه هذا البحث إن شاء الله تعالى.

٢) ضوابط الاستشهاد بالعلم التجريبي في تأييد الوحي "دراسة تأصيلية تطبيقية"، للباحثة ماجدة حضيري العنزي، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية التربية قسم الثقافة الإسلامية بجامعة حائل عام ١٤٣٣هـ/ ١٤٣٤هـ.

وتقع الرسالة في (٢١٠) صفحة، عرضت الباحثة في (١٠٨) صفحة لثلاث قضايا:

الأولى: الضوابط في الاستشهاد بالعلم التجريبي، وقسمتها إلى ثلاثة أنواع:

- ضوابط عامة تشمل نصوص الكتاب وسنة رسول الله ﷺ، وذكرت ثلاثة ضوابط.
- ضوابط متعلقة بنصوص السنة، وذكرت ضابطين.
- ضوابط متعلقة بالشواهد التجريبية، وذكرت ضابطاً واحداً.

الثانية: نماذج من الشواهد التجريبية في تأييد الوحي، واقتصرت فيه على نموذجين من القرآن، وثلاثة من السنة، وواحد مشترك بينهما، وكل النماذج تدور حول خلق الإنسان.

الثالثة: محاذير في الاستشهاد بالعلم التجريبي، وذكرت أربعة محاذير.

ودراسة الباحثة محصورة في بيان الضوابط والمحاذير كما هو عنوان البحث، ولم تُعن بالقضايا العقدية التي أريد تقريرها بالإعجاز العلمي، وبكيفية فهم الآيات العقدية والاستدلال بها.

القسم الثاني: الدراسات التي تناولت موضوع الإعجاز العلمي من جوانب أخرى متعددة.

وهذه الدراسات قسَّمتها إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الدراسات التي تناولت التفسير العلمي ومذاهب الناس فيه، مع ذكر لأشهر التطبيقات عليه، ومنها:

١) التفسير العلمي للقرآن الكريم"دراسة وتقويم"، للباحث عبدالله بن عبدالله الأهدل، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٠هـ.

٢) التفسير العلمي للقرآن الكريم، للباحث صلاح عبد علي، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة بغداد ١٩٨٧م.

٣) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، للدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي، وهي رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين بقسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عام ١٤١٨هـ.

٤) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، للدكتوره هند شلبي، الأستاذه المساعده في كلية الزيتونة بالجامعة التونسية، طبع مطبعة تونس قرطاج، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ.

٥) التفسير العلمي للقرآن في الميزان، للدكتور أحمد عمر أبو حجر، طبع دار قتيبة ببيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ.

وهذه الدراسات تذكر موضوع الإعجاز العلمي تبعاً لبيان العلاقة بينه وبين التفسير العلمي، ويغلب عليها تناول الموضوع من جانب التخصص في تفسير القرآن، مع إشارتها للجانب العقدي في بعض المواضع إشارات يسيرة في كلمات مختصرة.

النوع الثاني: الرسائل العلمية التي تناولت موضوع الإعجاز العلمي خصوصاً، ومما وقفت عليه مايلي:

١) الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، للباحث عبد السلام حمدان اللوح، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية في غزة، ونوقشت عام ١٩٨٦م، وناقشت الدراسة الإعجاز العلمي بين مؤيديه ومعارضيه مع عرض لنماذج من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في عوالم عدة (الكون، والإنسان، والحيوان والنبات، والحشرات والطب)، وبين الباحث هدفه من الدراسة فقال: "أما هدف البحث وغايته فهو تجلية الإعجاز العلمي في القرآن من خلال تجلية آراء العلماء في الإعجاز العلمي، والخروج برأي بعد المناقشة لآراء كل من المؤيدين والمعارضين"[١].

ولم يُبرز الباحث الجانب العقدي للإعجاز العلمي في استدلاله بالآيات على المسائل العقدية.

٢) الإعجاز العلمي في تفسير (في ظلال القرآن لسيد قطب)، للباحث مصطفى عمار عبد الغفار الششتاوي، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن وعلومه بجامعة المدينة العالمية بماليزيا عام ١٤٣٢هـ، والدراسة تهدف لبيان موقف الأستاذ سيد قطب من الإعجاز العلمي ومسائله، مع مناقشة أثر الإعجاز العلمي في توسيع فهم معاني الآيات القرآنية، ولم تشر للجانب العقدي والمسائل التي استدل بالإعجاز العلمي عليها.

النوع الثالث: المؤلفات التي وضعت للنظر في الإعجاز العلمي وتقويمه، ومما وقفت عليه:

١) كتاب الإعجاز العلمي إلى أين، مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، للدكتور مساعد ابن سليمان الطيار، طبع دار ابن الجوزي بالدمام عام ١٤٣٣هـ ويقع في (١٩٢)صفحة. والكتاب مجموعة مقالات كتبها الدكتور في أوقات متباعدة كان أولها عام ١٤٢٣هـ وآخرها عام ١٤٢٧هـ، وكتبها في تصحيح مسار الإعجاز العلمي في أمرين رئيسين هما:

الأول: تقويم المفاهيم في مصطلح الإعجاز العلمي.

الثاني: تصحيح طريقة معالجة تفسير السلف في بحوث الإعجاز العلمي.

---

(١) الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ص ج.

والكتاب مختصر جداً، وهو يتناول الموضوع من جانب علاقته بالتفسير، ولم يتناوله من جانب عقدي إلا في إشارات يسيرة متفرقة لا تتجاوز بضع صفحات، وقد قال الدكتور: "إن في الموضوع قضايا كثيرة تحتاج إلىٰ تجلية وإيضاح، ولولا ضيق المقام لأشرت إليها"[1]، وبحثي سيتناول قضية الإعجاز العلمي من جانب عقدي.

٢) ضوابط الاستدلال بالسنة النبوية علىٰ مسائل الإعجاز العلمي، للدكتور عبدالمحسن بن عبدالله التخيفي، وهو بحث محكم نشر في مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية والدراسات الإسلامية، المجلد (٢٣) العدد (٢) عام١٤٣٢هـ ويقع في ثلاث وثلاثين صفحة، والبحث يهدف إلىٰ الكشف عن أهم الضوابط التي ينبغي الأخذ بها عند الاستدلال بالسنة النبوية علىٰ مسائل الإعجاز العلمي، وذكر عشر ضوابط: أربعة منها خاصة بالسنة النبوية، وستة عامة.

وعليه فموضوع البحث في السنة النبوية، بينما بحثي موضوعه القرآن الكريم، وأيضاً لم يتطرق البحث لكثير من المباحث التي سيناقشها بحثي، ومن أهمها الجانب العقدي، والمسائل التي استدل بالإعجاز العلمي عليها.

وبعد فهذه دراسات تناولت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وسيكون هذا البحث امتداداً واستكمالاً لهذه الجهود.

أهداف البحث:

١) التعرف علىٰ المراد بالآيات الكونية في القرآن الكريم، والحِكَم العقدية من ذكرها.

٢) بيان أسباب نشأة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وموقف العلماء منه.

٣) توضيح علاقة تعريف الإعجاز العلمي بمفهوم المعجزة عند علماء السنة والجماعة.

٤) تصحيح مسار الإعجاز العلمي في استدلاله بالآيات القرآنية لتقرير القضايا العقدية، وبيان ضوابط الاستدلال به علىٰ قضاياها.

(١) الإعجاز العلمي إلىٰ أين ص٣٨.

أسئلة البحث:

١) ما المراد بالآيات الكونية في القرآن الكريم، وما الحِكَم العقدية من ذكرها؟

٢) ما أسباب نشأة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وما موقف العلماء منه؟

٣) ما علاقة تعريف الإعجاز العلمي بمفهوم المعجزة عند علماء السنة والجماعة؟

٤) ما المسار الصحيح في استدلال الإعجاز العلمي بالآيات القرآنية لتقرير القضايا العقدية؟ وما ضوابط الاستدلال به على قضاياها؟

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي الاستنتاجي، والمنهج التحليلي النقدي، وذلك بتتبع الآيات القرآنية التي تناولها بعض النتاج المكتوب للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتحليل أقوالهم فيها، ونقد ما يحتاج إلى نقد وتصحيح.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وسبعة فصول.

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: وفيه:

- القواعد العلمية العامة في تفسير القرآن الكريم.
- المراد بالآيات الكونية والحِكَم العقدية من ذكرها في القرآن الكريم.

الفصل الأول: الإعجاز العلمي تعريفه ومذاهب العلماء فيه.

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بالإعجاز العلمي ونشأته.
- المبحث الثاني: الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.
- المبحث الثالث: أسباب القول بالإعجاز العلمي.
- المبحث الرابع: مذاهب العلماء في الإعجاز العلمي وأدلتهم.

الفصل الثاني: الإعجاز العلمي وعلاقته بمفهوم المعجزة.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: مفهوم المعجزة عند العلماء.
- المبحث الثاني: علاقة الإعجاز العلمي بشروط المعجزة.

الفصل الثالث: الإعجاز العلمي وعلاقته بمسائل الغيب.

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: النبوءات الغيبية في القرآن وعلاقة الإعجاز العلمي بها.
- المبحث الثاني: تكييف الأمور الغيبية وعلاقة الإعجاز العلمي به.
- المبحث الثالث: الإعجاز العلمي ونشأة الكون ونهايته.

الفصل الرابع: الإعجاز العلمي والاستدلال به على التوحيد.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الإعجاز العلمي والاستدلال به على توحيد الربوبية.
- المبحث الثاني: الإعجاز العلمي والاستدلال به على توحيد الألوهية.

الفصل الخامس: الإعجاز العلمي والاستدلال به على النبوة وآياتها.

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تضمن الكتب السابقة مسائل الإعجاز العلمي.
- المبحث الثاني: آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والإعجاز العلمي.
- المبحث الثالث: الإعجاز العلمي والاستدلال به على نبوة الرسول ﷺ ومعرفته بتفاصيل الحقائق العلمية.

الفصل السادس: الإعجاز العلمي والأمثال القرآنية العقدية.

الفصل السابع: الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد: ضوابطه وآثاره.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: ضوابط الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد.
- المبحث الثاني: آثار الاستدلال بالإعجاز العلمي على قضايا الاعتقاد.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث، والتوصيات.

الفهارس: وهي:

- فهرس الآيات القرآنية موضع الدراسة.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

إجراءات البحث:

١) قراءة كتب ومجلات ومقالات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ لاستخراج الآيات القرآنية التي لها صلة بالعقيدة، وذكر أن فيها إعجازاً علمياً.

٢) يتم البدء في كل فصل ومبحث بتمهيد مجمل للقضية المراد بحثها، ثم تعرض الآيات التي ذكر فيها الإعجاز العلمي، ثم تعرض أقوال واجتهادات القائلين بالإعجاز العلمي.

٣) عند ذكر أقوال المعتنين بالإعجاز العلمي في الآيات، أذكر أبرز القائلين عند اتفاقهم، وأذكر البقية في الحاشية، وعند اختلاف أقوالهم أذكرهم جميعاً.

٤) عند ذكر الآيات التي لها صلة بالعقيدة، والتي يُدَّعىٰ فيها أعجاز علمي، فإني أذكر فهم أصحاب الإعجاز العلمي لها، ثم أنقد ذلك نقداً علمياً في ضوء الكتاب والسنة، ووفق فهم سلف هذه الأمة؛ ببيان معتقد أهل السنة والجماعة في المسألة العقدية التي اشتملت عليها الآيات، وبيان معناها كما فهمها السلف من المفسرين، ثم أوازن بما فهمه أصحاب الإعجاز العلمي من معناها.

٥) العمل بالمنهج المتبع في الأبحاث العلمية، ومن ذلك:

- تقسيم البحث إلىٰ تمهيد وفصول ومباحث وخاتمة.
- عزو الآيات القرآنية، بكتابة اسم السورة ورقم الآية بعد الآية مباشرة.
- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت به، وإلا خرجته من الكتب الستة، مع ذكر أقوال أئمة الحديث في الحكم عليه.
- ذكر بيانات المرجع كاملة في قائمة المراجع، دون ذكرها في الحواشي.
- إيضاح الألفاظ الغامضة بالرجوع إلىٰ القواميس التي تعتني بذلك.
- التعريف بالأعلام غير المشهورين.
- تذييل البحث بالفهارس اللازمة، كما في خطة البحث.

شكر وعرفان:

هذا وإني أحمد الله ﷻ ظاهراً وباطناً، وأثني عليه بما هو أهله، لا أحصي ثناء عليه، هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، وأسأله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، نافعاً لي يوم العرض عليه، وأن يعفو عما وقع لي فيه من خطأ أو تقصير، وأن يوفقني للسداد، ويهديني سبيل الرشاد.

كما أسأله ﷻ أن يرحم والديّ كما ربياني صغيراً، وأن يغفر لهما، ويعلي درجاتهما في جنات النعيم، وأن يجعل هذا العمل من العلم النافع الذي يُنتفع به فيصل أجره إليهما.

وأشكر بعد شكر الله تعالىٰ كل من أعانني علىٰ إتمام هذا البحث، وأخص بالشكر زوجتي وأبنائي الذين صبروا علىٰ تفرغي للدراسة والبحث، فاسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء، وأن يكتب لهم الأجر، وأن يصلحهم ويصلح بهم.

كما أشكر لأهل الفضل فضلهم، وعلىٰ رأسهم الأستاذ الدكتور أحمد بن عثمان المزيد حفظه الله، الذي أشرف علىٰ هذا البحث، ولم يدخر جهداً في توجيهه وتصويبه، فأعلىٰ الله درجته، ورفع ذكره وقدره، وبارك له في علمه وعمله.

كما أشكر المشرف المساعد، الأستاذ الدكتور مساعد بن سليمان الطيار حفظه الله، الذي لم يدخر جهداً في نصائحه وتوجيهاته، والتي استفدت منها كثيراً أثناء إعداد خطة البحث وكتابته، فأعلىٰ الله منزلته، ورفع ذكره وقدره، وبارك له في علمه وعمله.

كما أشكر الأساتذة الكرام:

- الأستاذ الدكتور: إبراهيم بن عبدالله الحماد.
- الأستاذ الدكتور: سليمان بن قاسم العيد.
- الأستاذ الدكتور: سهل بن رفاع العتيبي.

علىٰ مناقشتهم لهذه الرسالة، وبذل النصح والتوجيه، فشكر الله لهم، وأجزل لهم الأجر والمثوبة.

والشكر موصول إلىٰ جميع المسؤولين في جامعة الملك سعود، وإلىٰ كلية التربية، وإلىٰ جميع الأساتذة الذين أخذت عنهم العلم داخل الجامعة وخارجها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

وفيه:

- **أولاً:** القواعد العلمية العامة في تفسير القرآن الكريم.
- **ثانياً:** المراد بالآيات الكونية والحِكَم العقدية من ذكرها في القرآن الكريم.

❁ أولاً: القواعد العلمية العامة في تفسير القرآن الكريم.

لقد أنزل الله تعالىٰ القرآن الكريم، وجعله مباركاً، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام:٩٢]، وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥]، واتباع القرآن يكون بتدبر آياته، والعمل بما تضمنته من أحكام وتوجيهات، ولذا ورد التحضيض علىٰ تدبره، وتوبيخ من لم يتدبره، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

ومن العلوم الشريفة التي يتحصل بها تدبر الآيات والتأمل فيها، علم التفسير الذي موضوعه كلام الله تعالىٰ، وشرف العلم يكون بشرف موضوعه.

وقد ألف العلماء مؤلفات كثيرة في تفسير القرآن الكريم، وتوضيح معانيه، كما ألفوا مؤلفات عُدة في قواعد التفسير، التي تضبط الفهم والنظر، عن الميل والشطط، فيلزم من حصلها جادة الصواب[1]، ولقد تنوعت طرائقهم في عدها وجمعها، وفي شرحها

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ١٩٧، والتيسير في قواعد علم التفسير، محمد بن سليمان الكافيجي، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وأصول التفسير وقواعده، خالد بن عبدالرحمن العك، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ، =

وتوضيحها.

وفي هذا التمهيد لا يمكن حصر هذه القواعد، أو الإتيان على أغلبها، ولذا سأشير إلى بعضها مما ينبغي لكل من تصدر لتفسير القرآن الكريم أو آية منه، أن يلتزم بها ويراعيها.

القاعدة الأولى: العلم بالعلوم الضرورية التي يحتاجها المفسر[١].

فإن المتصدي للتفسير قد تصدى لمهمة عظيمة؛ لأنه يفسر كلام الله تعالى، ولذلك يحتاج من العلوم ما يبين له معاني الآيات، ويوضح له مقصودها، وحسبه من كل علم ما يحقق المراد، ومن هذه العلوم:

- الدراسات القرآنية. ومن أهمها: تفسير القرآن، وعلم المكي والمدني، وعلم الناسخ والمنسوخ وغيرها.
- أصول التفسير وقواعده. ومن أهمها: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بلغة العرب.
- اللغة العربية، ووجوه البلاغة فيها: فالقرآن أنزل بلسان عربي مبين، ولا يتأتى فهم ألفاظه والتعمق في معانيه، والإلمام بدلالاتها إلا بها.

قال البيضاوي[٢] ﷺ: "فإن أعظم العلوم مقداراً وأرفعها شرفاً ومناراً، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها"[٣].

= عبدالرحمن حبنكة الميداني، وقواعد وفوائد لفقه كتاب الله تعالى، عبدالله بن محمد الجوعي، ومناهج المفسرين، د. محمود النقراشي ص٢٢، وتفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي بن سليمان العبيد، وقواعد التفسير جمعاً ودراسة، د. خالد بن عثمان السبت، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد ١٩، عام١٤٢١هـ وتعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح الخالدي ص٥١-٦٠.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢/ ١٤٨، والموافقات، الشاطبي ٣/ ٢٢١، ٢٢٦، والإتقان، السيوطي ٢/ ١٨٠، والبحر المحيط، أبي حيان ١،٣، ٦، ١٣، ١٤، ومناهل العرفان، الزرقاني ٢/ ٥١، والتحرير والتنوير، ابن عاشور ١/ ١٨.

(٢) هو: ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد، ولد في مدينة البيضاء قرب شيراز من بلاد فارس، ولم يُذكر تاريخ ولادته، تولى قضاء شيراز، أثنى العلماء عليه وعلى مؤلفاته، توفي في تبريز سنة ٦٩١هـ وقيل: سنة ٦٨٥هـ انظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي ٨/ ١٥٧، والبداية والنهاية، ابن كثير ١٣/ ٣٠٩.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٢٣.

القاعدة الثانية: العلم بأقوال المفسرين من الصحابة ومن بعدهم.

فإن الصحابة ﷺ شهدوا تنزل الوحي، وصحبوا الرسول ﷺ، وكانوا أهل فصاحة وبلاغة، وفهم ثاقب، مع ما جعله الله ﷻ فيهم من الخشية والزهد والورع، والمناقب الجليلة، ولذا كانوا أولىٰ الناس بعد النبي ﷺ بفهم معاني القرآن الكريم ومقاصده[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين: من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف، ومن اللغة التي نزل القرآن بها، وهي لغة العرب"[٢].

القاعدة الثالثة: أن تحمل ألفاظ القرآن الكريم على ظاهرها إلا لدليل يصرفه عنه[٣].

فالقرآن أنزله الله ﷻ بلسان عربي مبين، علىٰ نبي عربي من العرب، وخاطب به أول من خاطب أمة عربية، فهو مفهوم لدىٰ المخاطبين به، كي تقوم الحجة، وتنقطع المعذرة.

ولذلك تحمل ألفاظه علىٰ الظاهر، ولا يجوز حملها علىٰ غيره إلا بدليل يوجب التسليم له، قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ: "فمن ادعىٰ في التنزيل ما ليس في ظاهره، كلف البرهان علىٰ دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له"[٤]، وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي[٥] ﷺ: "والقاعدة المقررة في الأصول: أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه"[٦].

---

(١) انظر: إجمال الإصابة في أقوال الصحابة، صلاح الدين العلائي ص ٦٤.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٦/ ٥٨٧.

(٣) انظر: قواعد التفسير، د. خالد بن عثمان السبت ٢/ ٦٦٤، ٨٥٨.

(٤) جامع البيان ٨/ ٧٢١.

(٥) هو: محمد الأمين بن محمد المختار، عالم مفسر، ولد في بلاد موريتانيا عام ١٣٢٥هـ طلب العلم مبكراً، ثم رحل إلىٰ الحج، وآثر البقاء في المملكة العربية السعودية، وتتلمذ علىٰ علمائها، وتولىٰ التدريس في المعاهد والكليات الشرعية، توفي بمكة عام ١٣٩٣هـ. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم، المجذوب ١/ ١٧١.

(٦) أضواء البيان ٤/ ١٥٩.

القاعدة الرابعة: مراعاة سياق الآية والآيات قبلها وبعدها[١].

فإن قطع الآية عن سياقها يوقع في الغلط والانحراف، ويحمل آيات القرآن من المعاني مالم تدل عليه، أو ترشد إليه، فإن "السياق مرشد إلىٰ تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذماً، فما كان مدحاً بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذماً واستهزاءً وتهكماً بعرف الاستعمال، مثاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩] أي: الذليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم، وكذلك قول قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧] أي: السفيه الجاهل لوقوعه في سياق الإنكار عليه، وكذلك: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ [الأحزاب:٦٧] لوقوعه في سياق ذمهم بإضلال الأتباع.

وأما ما يصلح للأمرين فيدل علىٰ المراد به السياق، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] أراد به عظيماً في حسنه وشرفه لوقوع ذلك في سياق المدح، وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء:٤٠] أراد به عظيماً في قبحه لوقوع ذلك في سياق الذم"[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، تبين له المراد، وعرف الهدىٰ والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج، وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه، فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لاسيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية، فإن هؤلاء أكثر غلطاً من المفسرين المشهورين، فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون"[٣].

---

(١) انظر: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، د. سعد الشهراني ص٤٠، وتفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي العبيد ص١٠٣، ودلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، د. عبدالحكيم القاسم.

(٢) الإمام في بيان أدلة الأحكام، عز الدين ابن عبدالسلام ص١٥٩-١٦٢.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١٥/ ٩٤.

القاعدة الخامسة: مراعاة دلالات الألفاظ:

من العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والأمر والنَّهي، والمنطوق والمفهوم، وملاحظة من يوجه له الخطاب، إن كان خاصًّا أو عامًّا، أو خاصًّا أريد به العام، أو عامًّا أريد به الخاص، وهكذا[١]، فبمراعاة هذه الدلالات "يحصل للعبد خير كثير، وعلم غزير، وبإهمالها وعدم ملاحظتها، يفوته علم كثير، ويقع الغلط والارتباك الخطير"[٢].

القاعدة السادسة: أن لا تُحمل ألفاظ القرآن الكريم على اصطلاح حادث[٣].

فيجب حمل ألفاظ القرآن على معهود الأميين في الخطاب، وما كان مستعملاً في عصر نزوله، قال الإمام الشاطبي[٤] ﷺ: "لا بد في فهم الشريعة من إتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجرئ في فهمها على ما لا تعرفه"[٥].

وبين الإمام ابن القيم ﷺ أن تفسير الألفاظ بغير معهودها يؤثر على المعاني، وينقص من رتبتها، حيث قال: "للقرآن عرف خاص، ومعان معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قُدَر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي

---

(١) انظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع ص٤٢٥.

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي ص١١، وانظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية ص ١٥-١٧.

(٣) انظر: قواعد التفسير، د. خالد بن عثمان السبت ١/ ٢٣٠.

(٤) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، من أئمة المالكية، لم تذكر سنة ولادته، نشأ في غرناطة، وبها طلب العلم، وفيها أصبح عالماً مفتياً، توفي عام ٧٩٠هـ. انظر: الأعلام، الزركلي ١/ ٧٥، وهدية العارفين، البغدادي ١/ ١٨، ومعجم المؤلفين، كحالة ١/ ١١٨.

(٥) الموافقات ٢/ ١٣١.